مجرى مياه فم الخليج

أن المتتبع لطوبوغرافية عواصم مصر الإسلاميه يجدها سلسلة مؤلفة من امتدادات اتخذت اتجاها واحدا جهة الشمال الشرقى . فقد أنشأ عمرو ابن العاص مدينة الفسطاط سنة ٦٤١ م ، ولما ضاقت هذه العاصمة بساكنيها أنشئت مدينة العسكر فى العصر العباسى سنة ٦٧٠ م . ولما استقر الأمر لأحمد ابن طولون اتخذ له عاصمة جديدة هى القطائع بناها فى الجهة الشمالية الشرقية لمدينة العسكر فى عام ٨٦٩ م . ثم جاء الفاطميون فأنشأوا لهم عاصمة جديدة اتخذوها مركز اشعاع للمذهب الشيعى ، تلك هى مدينة القاهرة التى أنشئت سنة ٩٦٩ م (انظر شكل ١) .

ثم دالت دولة الفاطميين وجاءت الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين ابن يوسف الأيوبى ، وكان من التقاليد المرعية فى العصور الوسطى أن يبنى الملوك والسلاطين المدن والعواصم تخليداً لذكراهم، وكذلك فعل صلاح الدين ، ولكنه بدل أن ينشىء عاصمة جديدة رأى بثاقب فكره أن يبنى[1] سورا يضم شتات العواصم الأربع السالفة الذكر خاصة بعد أن أباح صلاح الدين سكنى القاهرة للخاصة والعامه[2] ، مما أوجب الزيادة فى رقعتها . كما أنشأ قلعته المشهورة «بقلعة الجبل» إلى الغرب من تلال المقطم ، لتكون له معقلا وحصنا[3] يعتصم به من أعدائه ، وليتخذها مقرا لحكومته وثكنات لجيشه .

وقد روعى فى تصميم السور الجديد أن يحيط بالقلعة حتى يتصل بأسوار القاهرة

---

(١) ابن جبير ص ٣٠

(٢) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق .

من الجهة الشمالية من نقطة اتصال السور الفاطمى بالخليج المصرى إلى جامع المقس « أولاد عنان الآن[1] » ومن باب النصر إلى برج الظفر . وفى الجهة الشرقية من برج الظفر إلى باب الوزير وقلعة الجبل ثم يميل جهة الغرب فاصلا الجزء العامر عن الخراب من دور العسكر والفسطاط محيطا بها من جنوبها حتى يلتقى بالنيل عند رباط الآثار « جامع أثر النبى » . وقام بعمارة القلعة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى[2] ، فشرع فى بنائها وكذا السور عام ٥٧٢ ﻫ ، ولكن صلاح الدين مات قبل أتمام هذا المشروع فأهمل العمل فيه إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل فأتمها وسكنها[3] واقتدى به من ملك مصر من بعده من ملوك الدولة الأيوبية وحذا حذوهم ملوك دولتى المماليك.

ولما كانت حكومة صلاح الدين حكومة حربية فقد استأثرت الحرب بجزء كبير من عناية الدولة وميزانيتها ، من أجل ذلك احتاج صلاح الدين إلى منشآت حربية وأخرى مدنية كان من أهمها إذ ذاك بناء الجسور وتطهير الترع وتشييد القلاع وإقامة الأسوار المحيطة بالبلاد لتقيها شر غارات الفرنجة من الخارج والشيعة المنبثين فى أنحاء العالم الإسلامى . ومن أظهر الأعمال الجليلة التى ما انفك أثرها باقيا حتى اليوم والتى تشهد بتقدم مصر الهندسى فى عهد صلاح الدين هو توصيل مياه النيل من رباط الآثار عبر الأسوار إلى القلعة . وكانت هذه الفكرة بمثابة نبراس سار على هديه من جاء بعده من الملوك والسلاطين فبنوا القناطر إلى جانب السور لزيادة كمية الماء التى تصل إلى القلعة .

تعددت الأقوال وكثرت الآراء فى تأريخ مجرى المياه الذى كان يوصل مياه النيل إلى قلعة الجبل ، كما خلط كثير من الكتاب بين مجرى المياه وأسوار صلاح الدين حتى لقد كان الأصطلاح الشائع إلى عهد قريب لدى العامه وفى المكاتبات الرسمية على تسميتها « بمجرى صلاح الدين » . لذلك فقد

---

(١) الفسطاط — الأستاذ حسن الهوارى ص ١٠ .

(٢) المقريزى جزء ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) المقريزى جزء ٢ ص ٢٠١ .

رأيت أن أتتبع تاريخ هذا الأثر كما جاء فى المراجع التاريخية ثم أناقش آراء المؤرخين وعلماء الآثار على ضوء ما ورد فى المراجع القديمة وعلى ضوء الآثار الباقية وطوبوغرافية مدينة القاهرة .

مقدمه تاريخية :

لقد جاء ذكر هذا المجرى فى كتاب خطط مصر للمقريزى فى مناسبات عدة ننقل منها هذا النص : « أنشأ الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء إلى السور[1] ثم من السور إلى القلعة . وفى عام ٧٢٨ هـ عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج فى الجبل ، ولكنه عدل عن تنفيذ هذا المشروع لكثرة تكاليفه ، إذا قدر له مبلغ ثمانين ألف دينار ، كما رأى الملك الناصر أن المدة التى سيتم فيها المشروع وهى عشر سنوات مدة طويلة . فلما كانت سنة ٧٤١ هـ اهتم الملك الناصر بسوق الماء إلى القلعة وتكثيره بها لأجل سقى الأشجار وملء الفساقى ولأجل مراحات الغنم والأبقار . فطلب إليه المهندسين والبنائين وسار فى طول القناطر التى تحمل الماء من النيل إلى القلعة حتى انتهى إلى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى إلى القلعة فيسقى الميدان وغيره . فعمل ذلك ثم أحب الزيادة فى الماء أيضا فركب ومعه المهندسون إلى بركة الحبش وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر إلى حائط الرصد[2] وينقر فى الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقى لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التى تحمل الماء إلى القلعة زيادة لمائها . وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل

---

(١) المقريزى جزء ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) انظر وصف الرصد المقريزى ج ١ ص ١٢٥ .

فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر فى الحجر أربعين ذراعاً وقدّر الله تعالى موت الملك الناصر قبل اتمام هذا العمل فبطل ذلك وأنطم بعد ذلك وبقيت منه إلى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار وما زال الحائط قائماً من حجر فى غاية الاتقان من أحكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد قائماً من الأرض فى طول الجرف إلى أعلاه حتى هدمه الأمير يلبغا السالمى سنة ٨١٢ ﻫ وأخذ ماكان به من الحجر فرم به القناطر التى تحمل إلى اليوم الماء حتى يصل إلى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها.

يتبين لنا من النص سالف الذكر أنه كان يوجد فى عصر الملك الناصر مأخذان للماء من النيل مباشرة يوصلانه إلى القلعة ، أحدهما يرجع للعصر الأيوبى والآخر انشأه الملك الناصر محمد. وقد أطلق المقريزى على المجرى الذى كان يوجد قبل عهد الناصر محمد اسم « القناطر العتيقة » . ويقول الأستاذ كرزويل[١] أن لفظ القناطر العتيقة التى ذكرها المقريزى هو الذى أدى إلى التضارب فى تأريخ هذا الأثر فقد ذكر Casanova[٢] وكذلك Van Berchem[٣] أن المجرى قد أنشىء فى عهد السلطان الكامل ويكوّن جزءاً من المجرى الموجود حالياً ثم أصلح وأعيد بناؤه فى عهد من جاء بعده من السلاطين. أما Vollers[٤] فإنه يقول « لعل المقريزى يعنى بكلمة « القناطر العتيقة » قناطر ابن طولون التى أقامها فى البساتين وأن كان ذلك لايتفق وطبوغرافية القاهرة ، أو لعله (المقريزى) يقصد بالقناطر العتيقة أنها أنشئت فى عهد صلاح الدين وهـذا هو الشائع الآن بين الجمهور وإن لم يؤيده نص أو مرجع تاريخى » .

---

(١) كرزويل ص ٨٩ .

(٢) Casanova ص ٦٦٠ .

(٣) Van Berchem. (Journal Asiatique 1891—1892)

(٤) Vollers ص ٥٩ .

على أن جمهور مؤرخى مصر الإسلامية أجمع على أن صلاح الدين توفى قبل اتمام بناء القلعة والسور فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل فأتمها . كذلك أجمعت المراجع على أن البئر المعروفه بالحلزونى المحفورة بالقلعة هى من عمل صلاح الدين وكان الغرض من انشائها تخزين الماء داخل القلعة بواسطتها إذا حدث أن حوصرت القلعة. ولعل من المفيد أن أنقل وصف هذه البئر كما ذكرها ابن عبد الظاهر[1].

هذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقاله فى وسطها ، وتدور البقر فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها فى مجار وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل أن أرضها مساحة أرض بركة الفيل ، وماؤها عذب. كذلك وصف القاضى ناصر الدين شافع بن على[2] هذه البئر فى كتابه « عجائب البنيان » أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة والمشاهد أنه ينزل إليها بمزلقان ، ولم يكن هناك درج ، وبئر يوسف هذه عبارة عن بئرين فوق بعضهما والماء بعد طلوعه من البئر السفلى ينصب فى البئر الثانية والمستعمل فى نقله سواقى القواديس وارتفاع البئر العليا من ابتداء أرض القلعة إلى قاعها خمسون متراً وثلاثة أعشار المتر وعمق البئر السفلى أربعون متراً وثلاثة أعشار متر فيكون بمجموع الارتفاع من أرض القلعة إلى قاع البئر السفلى تسعين مترا وستة أعشار المتر أو مائتين وتسع وتسعين قدما وجميعه نقر فى الحجر ، ومستوى ماء بئر يوسف تحت مستوى تحاريق النيل وماؤها به ملوحة قليلة .

من هذا الوصف الدقيق لهذه البئر نستطيع أن نرجح أنها كانت تكفى لسقاية القلعة على الأقل فى عهد صلاح الدين خاصة وأن بناءها لم يتم فى عهده أى أن عدد سكانها كان محدودا .

---

(١) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

على أن الاستكشافات التى قام بها على بك بهجت فى الفسطاط[1] قد أوضحت الفقرات الغامضة فى نص المقريزى . فقد تبين من الكشف بأن سور صلاح الدين الممتد إلى الغرب من الفسطاط يلتقى بقناطر المياه عند الانثناء الكبير حيث يوجد سبيل (الوسية) الآن ، ثم يتجه جهة الشمال الشرقى نحو القلعة (انظر شكل ١) . وقد وجد فى أعلى سور صلاح الدين مجرى محفور فى الحجر ومغطى بألواح حجرية ، ويجاور الجزء المكشوف منه من الداخل حوضان يظهر أنهما كانا يملآن من ذلك المجرى ليشرب منهما عابرو السبيل[2] . ولذلك فانى أؤيد ما ذهب إليه الأستاذ كرزويل من أن المقريزى يعنى بلفظ « القناطر العتيقة » السور العتيق بالنسبة إلى أن السور كان يؤدى نفس عملية قناطر المجرى .

وقد توالت يد الإصلاح والتعمير لهذه القناطر فقد جاء فى المقريزى أن الأمير يلبغا السالمى أصلحها سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) كذلك قام السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ببعض الاصلاحات ، فقد أنشأ بابا معقوداً عند التقاء المجرى بالسور ، ولا يزال الباب باقيا حتى اليوم يحمل اسم قايتباى وجزءا من تاريخ إنشائه وهو ٨٨ (انظر لوحة ٩) . ويرجح **Casanova** أن يكون هذا الباب هو باب الصفاء الذى ذكره المقريزى ، ولكنى أستبعد ذلك حيث أن المقريزى ذكر أن هذا الباب قد هدم فى أيام الملك الظاهر بيبرس[3] .

وذكر ابن إياس[4] وكذلك أبو الفلاح[5] بن العماد أن الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى الذى حكم من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢ أنشأ المجرى .

---

(١) حفريات الفسطاط على بك بهجت ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) الفسطاط : حسن الهوارى ص ١٢ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٧ .
(٤) تاريخ مصر لابن اياس جـ ٣ ص ٦٢ .
(٥) شذرات الذهب ص ١٤ .
(٦) Casanova : The Citadel.

ويؤيد هذه الرواية سمة السلطان المنقوشة على أماكن متعددة من المجرى ونصها: عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره (انظر لوحة ١) وهناك جامه أصلها من هذا المجرى ونقلت إلى متحف الفن الإسلامى تحت رقم (١٠٠) إلا أن هذه الجامات لا تحمل تاريخا وإن كان **Casanova** يقول أن الغورى أنشأها سنة ٩١١ هـ أى سنة ١٥٠٥م ويقول **Jomard**(١) حوالى سنة ٩٠٧ هـ سنة ١٥٠١م .

وإذا مددنا خطا من جامع زين العابدين يتقاطع مع الواجهة الشمالية للمجرى وجدنا لوحتين تذكاريتين باسم عبدى باشا يتبين منهما أنه قام ببعض الإصلاحات للمجرى عام ١١٤٠ هـ — ١٧٢٨ م (انظر لوحة ٢) وقد نقلت اللوحتان إلى متحف الفن الإسلامى تحت رقم ٤٢٣١، ٤٢٣٢ . ومما هو جدير بالملاحظة أننا نجد على جانبي الكتابة باللوحتين التذكاريتين رسم حيوانين اعتقد أنهما رنك عبدى باشا ويوجد مثل هذا الحيوان على احدى الدعائم السائدة القريبة من سكة حديد حلوان (انظر لوحة ٣) ولذلك فإن كرزويل(٢) يرجع الدعائم الشبه دائرية إلى اصلاحات عبدى باشا (لوحة ٤) .

ثم جاءت الحملة الفرنسية وأحدثت كثيراً من التغيرات بهذا المجرى ، فقد ورد فى الجبرتى(٣) فى ذكر ما هدمه الفرنساوية وخربوه وما أحدثوه من العمائر ما يأتى ، سدوا أبواب الميدان من ناحية الرسيلة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر وجعلوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سورا بذاتها ولم يبقوا منها إلا قوصرة

---

(١) Jomard : Description de L'Egypt.

(٢) Creswell : p. 22.

(٣) الجبرتى جـ ٣ ص ١٦٥ .

واحدة ناحية الطيبي جهة مصر القديمة جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعساكر الملازمون الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضاً وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقى المجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقا » .

تسمية المجرى :

ومن العجيب أنه على الرغم من عظم شأن هذا المجرى وكثرة ورود ذكره فى المراجع التاريخية إذ ذكره المقريزى وأبو المحاسن وابن إياس والسخاوى وابن حجر العسقلانى والسيوطى وابن دقماق وابن العماد وغيرهم فان أحدا لم يسمه .

ولكننا نجد فى بعض الكتب الحديثة تسمية له فقد سمى « بقناطر[1] صلاح الدين » ، ولعل ذلك يرجع إلى أن أول من فكر فى توصيل مياه النيل إلى القلعة فى مجرى مرتفع هو صلاح الدين ، إذ استخدم السور ، كمجرى للمياه . أو لعله قد التبس الأمر على بعض الكتاب وظنوا أنها القناطر التى أنشأها صلاح الدين غرب النيل فقد ذكر ابن جبير[2] والمقريزى[3] وغيرهما من المراجع أن صلاح الدين أقام قناطر غرب النيل مكونة من أربعين قنطرة .

وفى كتاب[4] وصف مصر للحملة الفرنسية جاء ذكر هذا المجرى تحت اسم (السبع سواقى) . ولما كانت جميع البيانات والمعلومات التى جاءت

---

(١) محاضر جلسات لجنة حفظ الآثار رقم (   ) Lane Poole p. 205 .

(٢) ابن جبير ج ٢٠ .

(٣) المقريزى ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) Lé Description de L'Egypte p.465.

فى كتاب « وصف مصر » صحيحة ودقيقة ، فإن تسميته للمجرى بهذا الاسم لابد وأن تعتمد على أحد أمرين :

١ — أما أن تكون الحملة الفرنسية استعملت الاسم الذى استعملته المراجع القديمة ، وسبق أن بينا أنه على الرغم من كثرة المراجع التى ذكرت الأثر فإنها لم تسم المجرى .

٢ — أو أن تكون التسمية مطابقة للمسمى وفى هذه الحالة لابد وأن يكون بالمجرى سبع سواقى ، وهذا يخالف الواقع الموجود الآن ، إذ الباقى الآن ست سواقى .

ولقد وجدت رسما للمجرى يرجع إلى سنة ١٨٤٠ فى كتاب «القاهرة[١]» أى بعد مجىء الحملة الفرنسية بأربعين عاما تقريباً ونجد فى هذا الرسم مبنى صغيرا على حافة النيل مباشرة وملتصق برأس المجرى (لوحة رقم ٥) . وليس من المستبعد بل من المرجح أن يكون هذا المبنى مكان الساقية السابعة . ويمكن تعليل وجود هذا المبنى الصغير إذا عرفنا أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة ، بل ينتقل من الشرق إلى الغرب ، وهذه الحركة يرجع عهدها إلى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت إلى يومنا هذا[٢] (انظر شكل ١) . وعلى ذلك فمن المحقق أن رأس المجرى قد بعد عن شاطىء النيل ومن ثم أنشئت الساقية السابعة لتغذية الست السواقى الموجودة برأس المجرى ولعلها تكون من الاصلاحات التى قام بها عبدى باشا .

وصف المجرى :

يبلغ طول المجرى الموجود حاليا والذى يمتد من فم الخليج إلى باب

---

(١) Cairo, by Robert Hay, PL. 1,

(٢) حفريات الفسطاط ص ١٩ .

السيدة عائشة ٣٫١ كيلومترات تقريبا . ويفصل شارع الكورنيش الآن بين رأس المجرى وبين النيل ، ثم يمتد المجرى جهة الشرق فى خط متكسر الغرض منه إحداث انثناءات طفيفة فى سير المجراه حتى يزيد من قوة دفع المياه (انظر شكل ٢) . ويستمر سير المجرى نحو الشرق حتى يلتقى بسبيل « الوسيه » (انظر شكل ١) حيث يوجد باب قايتباى الذى سبق الإشارة إليه . ويبلغ طول المجرى من مبدئه حتى سبيل « الوسية » حوالى ٢٫٢ كيلومترا ، ثم يتغير سير المجرى ويتجه إلى الشمال الشرقى فيمر أمام مسجد « الزمر » ثم ينتهى عند باب السيدة عائشة ويبلغ طول المجرى من سبيل « الوسية » حتى مسجد الزمر نصف كيلومتر ومن مسجد الزمر حتى باب السيدة عائشة ما يقرب من ٤٠٠ مترا .

والمجرى مقامه على قناطر يبلغ عدد العقود الباقية منه الآن ٢٧١ عقدا ، ومعظم العقود على شكل شبه دائرى . وقد أجرى للمجرى عدة اصلاحات كما أدخل عليه بعض التغيرات ، إما لتصدع البناء كما حدث فى العصر العثمانى على يد عبدى باشا سنة ١١٤٠ هـ — ١٧٢٨ م أو لاتخاذها استحكاما حربيا وذلك فى عهد الحملة الفرنسية ، فقد سد معظم عقود المجرى واستخدم كسور. ولذلك فإن القناطر الموجودة الآن بعضها باق بحالته الأصيلة ويبلغ عددها ١٧٣ قنطرة ، والبعض له (جلس) للتقوية ويبلغ عددها ٣٣ قنطرة (لوحة ٦) ، ويبلغ عدد القناطر التى سدت ٢٦ قنطرة (لوحة ٧) ، أما عدد القناطر التى أنشئت فوق سور صلاح الدين فيبلغ عددها ٣٩ قنطرة (لوحة ٨) ويبلغ ارتفاعها ٤٫٣٥ مترا فوق السور . لقد جاء فى وصف المجرى فى كتاب الحملة الفرنسية ، وكذلك فى الجبرتى أن عدد قناطر المجرى يبلغ ٣٠٠ قنطرة ، ولما كان الباقى منها الآن ٢٧١ قنطرة ، إذن فقد هدمت ٢٩ قنطرة .

ومما هو جدير بالملاحظة أن سمة السلطاة الغورى ما زالت باقية فى

أجزاء كثيرة من المجرى ، فهناك مداليه على رأس المجرى المطل على شارع الكورنيش (انظر لوحة ١) وهناك مداليتان على الوجه الجنوبى للمجرى على العقد السادس (انظر شكل ٢ : ب ، ج) . وبمتحف الفن الاسلامى مداليه تحت رقم (١٠٠) مأخوذة من المجر تحمل اسم السلطان الغورى . وعلى الوجه الجنوبى أيضا بعد تقاطعه بسكة حديد حلوان توجد مدالية خامسة (شكل ٢ هـ) . كما توجد مدليتان على العقد السادس فى الوجه الجنوبى بعد تقاطع شارع سوق المواشى بالمجرى (شكل ٢ و ، س) .

وفى الجزء المتوسط من المجرى توجد دعائم سانده يبلغ عددها ٢١ دعامه ممتدة على مسافات غير متساوية ، بعضها شبه دائرى ويبلغ عدده ١٥ دعامة والآخر مربع ويبلغ عدده ٦ دعامات . ويقول كرزويل[١] أن هذه الدعائم مستحدثة لأنها لا تتصل بدماميك الاكتاف التى ترتكز عليها (انظر لوحة ٤) ، كذلك يعتقد كرزويل أن الدعائم الشبه مستديرة والتى يبلغ عددها ١٥ دعامة كلها من عمل عبدى باشا أى ترجع إلى سنة ١٧٢٨ م .

والمجرى مبنى بالحجر (الدستور)[٢] المسنم فى معظم اجزائه ، أما باطنه فحشو بالحجارة (انظر لوحة ١٠) . وهناك اجزاء قليلة من المجرى مبنية من الحجر الاملس ويرجع كرزويل كل الاجزاء الملساء فى المجرى إلى عبدى باشا ، ولكنى استثنى من ذلك رأس المجرى ، فهو مبنى من الحجر الاملس أرجح أنه من عمل السلطان الغورى .

وفى أعلى المجرى يوجد تجويف مبنى بالملاط يبلغ عرضه ٧٦ سم وعمقه ٥٠ سم ، وهو الجزء المخصص لجريان المياه (لوحه ١٠) .

رأس المجرى :

يتكون رأس المجرى من شكل سداسى تبلغ مساحته ٨٥ ر ٦٢٥ مترا

(١) Creswell : 92

(٢) استعمل صلاح الدين الأحجار المسنمة من قبل فى سوره .

مربعا وهو غير متساو الاضلاع (انظر شكل ٣) اذ يبلغ طول الضلع ا[١] ٨ ر ٢٢ مترا والضلع ا[٢] ٨ ر ٢١ مترا والضلع ا[٣] ٢ ر ١٨ مترا والضلع ا[٤] ٦ ر ٢٦ مترا والضلع ا[٥] ٨ ر ٢١ مترا والضلع ا[٦] ٨ ر ٢١ مترا . ويبلغ ارتفاع رأس المجرى ٤ ر ١٨ مترا ، وقد ورد فى كتاب « القاهرة »[١] أن ارتقاع رأس المجرى يبلغ ٦٨ قدما أى ٤ ر ٢٠ مترا ، ومعنى هذا أن الاتربة تغطى مترين من أساس المجرى .

والضلع رقم ا[٦] هو الضلع المطل على شارع الكورنيش الآن . وكل وجه من الاوجه الستة محلى بعقدين شبه دائريين انظر (لوحه ا) وتبلغ فتحة العقد ٨ ر ٢ مترا وارتفاعه ١٦ مترا (انظر شكل ٣ الواجه) ويبلغ عمقه ١١ مترا ما عدا العقدان الموجودان فى الضلع [٣] فيبلغ عمق كل منهما ٨ ر ١١ مترا . ويوجد تجويف واحد بكل من العقود الاثنى عشره الموجوده باضلاع المأخــــذ الستة ما عدا عقد واحد بالضلع ا[٣] به تجويفان .

وبداخل الشكل السداسى الخارجى يوجد سداسى آخر متساوى الاضلاع يبلغ طول كل ضلع منه ٨ مترا ، ويتوسط السداسى الداخلى عمود يبلغ قطره ١٦ ر ٣ مترا ويحيط بالمسدس من الداخل ستة عقود يبلغ فتحة كل منها ٩ ر ٣ مترا وترتكز هذه العقود على اكتاف عرضها ٩ ر ١ مترا وتبرز العقود عن المسدس الداخلى بمقدار ٥٤ ر ١ مترا . وهذه المسافة مكشوفة وغير مغطاة من أعلى . والمأخذ مغطى من الداخل بستة أقباء متقاطعه (مصلّبات) مبنية بالطوب ، أما باقى بناء المأخذ فمبنى من الحجر الاملس وباطنه محشو بالحجارة (الردش) كما هو الحال فى باقى القناطر . وعلى ارتفاع ثلثى العمود المتوسط توجد ستة نتوءات يقابلها ستة نتوءات فى اكتاف العقود الستة ومن المرجح أن تكون هذه النتوءات المتقابلة بقايا سته عقود،

---

(١) Robert Hay : Cairo p.

كان الغرض منها ربط المأخذ بالعمود المتوسط للتقوية ، وقد تهدمت مع مرور الزمن .

كيفية عمل السواقى :

يصعد إلى سطح المأخذ (بمزلقان) ليس به درج ، ولعل ذلك عمل خصيصا لصعود الدواب التى تستخدم فى ادارة السواقى . ويوجد فى وسط السطح حوض تحيط به ستة فتحات هى المسافة المتروكة بين العقود والمسدس الداخلى التى سبقت الاشارة اليها ، وقد خصصت هذه الفتحات لكى تدور فيها العجلة التى تربط بها القواديس التى تجلب الماء من باطن المأخذ ثم تصبه فى الحوض المتوسط ، والحوض متصل بمجراه ، فاذا امتلأ الحوض بالمياه صب فى هذه المجراه ومنها تسير المياه إلى باقى القناطر . وتتصل الفتحات الست بمجراه بهاعمود خشبى يتصل بعجلتين بهما (تروس) احدهما فى وضع أفقى وهذه هى التى يحركها البقر والاخرى فى وضع رأسى متصلة بالعمود الخشبى الذى يدير بدورة العجلة ذات القواديس بداخل الفتحات (شكل ٣ مسقط السطح) .

وعلى ذلك فانه يوجد بأعلى المأخذ ست سواق تعمل بنفس الطريقة التى ما زالت تستعمل فى الريف المصرى حتى اليوم (انظر شكل ٤) .

الخلاصة :

من هذا السرد المتقدم لآراء المؤرخين وعلماء الآثار يتبين لنا أن حجتنا فى هذا الموضوع هو النص الذى أورده المقريزى ، وعلى ضوء هذا النص واعتمادا على الاستكشافات التى أجرتها مصلحة الآثار بالفسطاط ودارسة الاثر دراسة دقيقة نخلص إلى الآتى : —

أولا — أنه تم فى العهد الايوبى توصيل مياه النيل من منطقة رباط

الأثار جنوبى الفسطاط إلى قلعة الجبل بواسطة السور الذى عبر عنه المقريزى بالقناطر العتيقه ، ويؤيد المقريزى فى ذلك حفريات الفسطاط التى كشفت عن وجود مجرى للمياه منحوت فى الحجر ومغطى بألواح حجرية فى سور صلاح الدين ، أضف إلى ذلك وجود الحوضين المبنين بالسور واللذين يرجح أنهما كانا يملآن بالماء لكى يشرب منهما عابر والسبيل .

ثانيا — اعتنى الملك الناصر محمد بن قلاوون عناية عظيمة بنقل مياه النيل إلى القلعة فأقام المنشآت الآتية : —

(١) أنشأ سنة ٧١٢ هـ[١] أربع سواق على بحر النيل تنقل المياه إلى السور ثم من المؤكد أن يكون مكان هذه السواقى الأربع ، هو عند التقاء السور بالنيل من الجهة الجنوبية أى عند رباط الآثار .

(٢) سنة ٧٤١ اهتم الملك الناصر بسوق الماء إلى القلعة وتكثيرها فأمر بحفر بئر أخرى عند ساحل النيل واقام عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة «أى سور صلاح الدين» حيث يوجد مجرى أخر للماء ، فيجتمع الماء من بئرين بئر سور صلاح الدين و بئر القناطر ويصير ماء واحداً يجرى إلى القلعة[٢]. ويستفاد من هذا أن القناطر التى أنشأها الناصر محمد كانت فى مستوى سور صلاح الدين لأنه لم يرد فى نص المقريزى ولا فى غيره من المراجع ، ما يفيد أن الناصر ارتفع بالسور أو أقام قناطر على السور حتى يصل إلى مستوى قناطره الجديدة . ولما كان ارتفاع السور وكذا قناطر مجرى المياه أقل ارتفاعا من القلعة ، فقد أصبح من الواجب انشاء عدة سواق فى أماكن متعددة لرفع المياه إلى القلعة ، وهذا ما عمله الناصر محمد فقد أنشاء للمياه آباراً وجعل عليها سواقى نقاله فى عدة أماكن[٣] .

---

(١) المقريزى جـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٢) المقريزى جـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٣) تاريخ مصر لابن اياس جـ ١ ص ١٦٠ .

نخلص من هذا أن القناطر القائمة الآن ليست من عمل الناصر محمد لأنها أعلى من سور صلاح الدين مما استوجب انشاء قناطر أخرى على سور صلاح الدين ، وذلك عند التقاء القناطر بالسور عند سبيل الوسيه .

ومن التحقيقات المعمارية يتبين لنا أن القناطر المقامه على السور تختلف الأحجار المستعملة فى بنائها عن أحجار السور ، فمقاس « المدماك » الذى بالسور يبلغ ٤٣ سم تقريباً وهو نفس مقاسات الأحجار التى استعملت فى باقى أسوار صلاح الدين ، أما مقاس « مدماك » القناطر فيبلغ ٣٦ سم وهو نفس مقاسات الأحجار المستعملة فى معظم اجزاء القناطر ونفس المجرى الذى يوجد عليه رنك السطان الغورى .

ثالثا — من المرجح أن يكون الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى قد أزال المجري الذى انشأه الناصر محمد وأقام مكانه مجرى جديداً وذلك لسببين هامين :

(١) ليرتفع بالمجرى حتى يصل إلى مستوى قريب من ارتفاع القلعة .

(٢) إن المتتبع لطوبوغرافية مدينة القاهرة يجد أن النيل ينتقل باستمرار جهة الغرب ، وعلى ذلك فإنه فى المدة التى انقضت بين الملك الناصر والسلطان الغورى وتبلغ قرابة قرنين من الزمان ؛ بعد المجرى أو القناطر عن شاطىء النيل ، وعلى هذا فليس من المعقول أن يكون مكان رأس القناطر الموجود الآن على النيل هو نفس المكان الذى أقام عليه الناصر رأس قناطره . كذلك ذكر ابن اياس[١] أن الغورى أنشاء المجرى ، ولم يقل اصلحها .

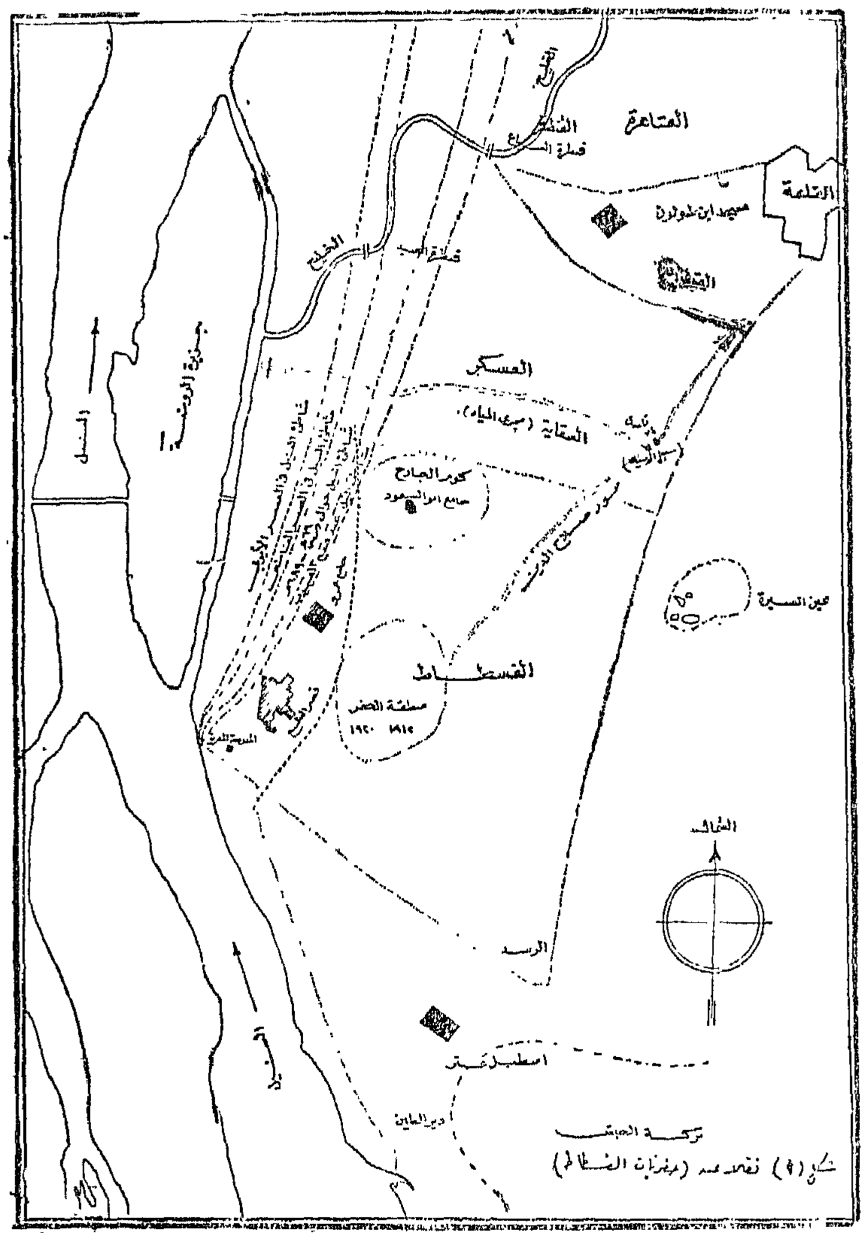
---

(١) ابن اياس ج ٣ ص ٦٢ .

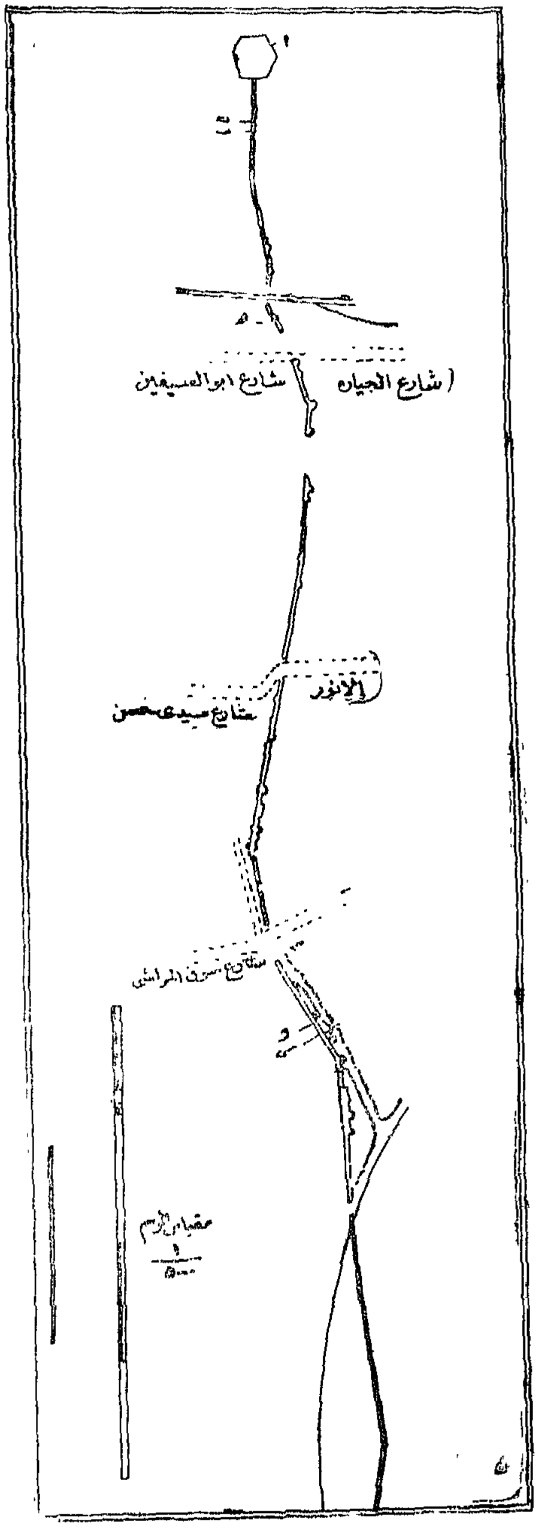
مما تقدم أستطيع القول فى ثقة واطمئنان أن أول من أنشأ مجرى مياه فم الخليج هو الناصر محمد عام ٧٤١ هـ ، وأصلحت سنة ٨١٢ هـ على يد الأمير يلبغا السالمى ، ثم أعاد بناءه السلطان الغورى سنة ٩١١ هـ . وفى العهد العثمانى أصلح عبدى باشا بعض اجزائه سنة ١١٤٠ هـ — ١٧٢٨ م ثم جاءت الحملة الفرنسية فسدت معظم عقود القناطر واستخدمته سوراً تحتمى وراءه .

سمار ماهر

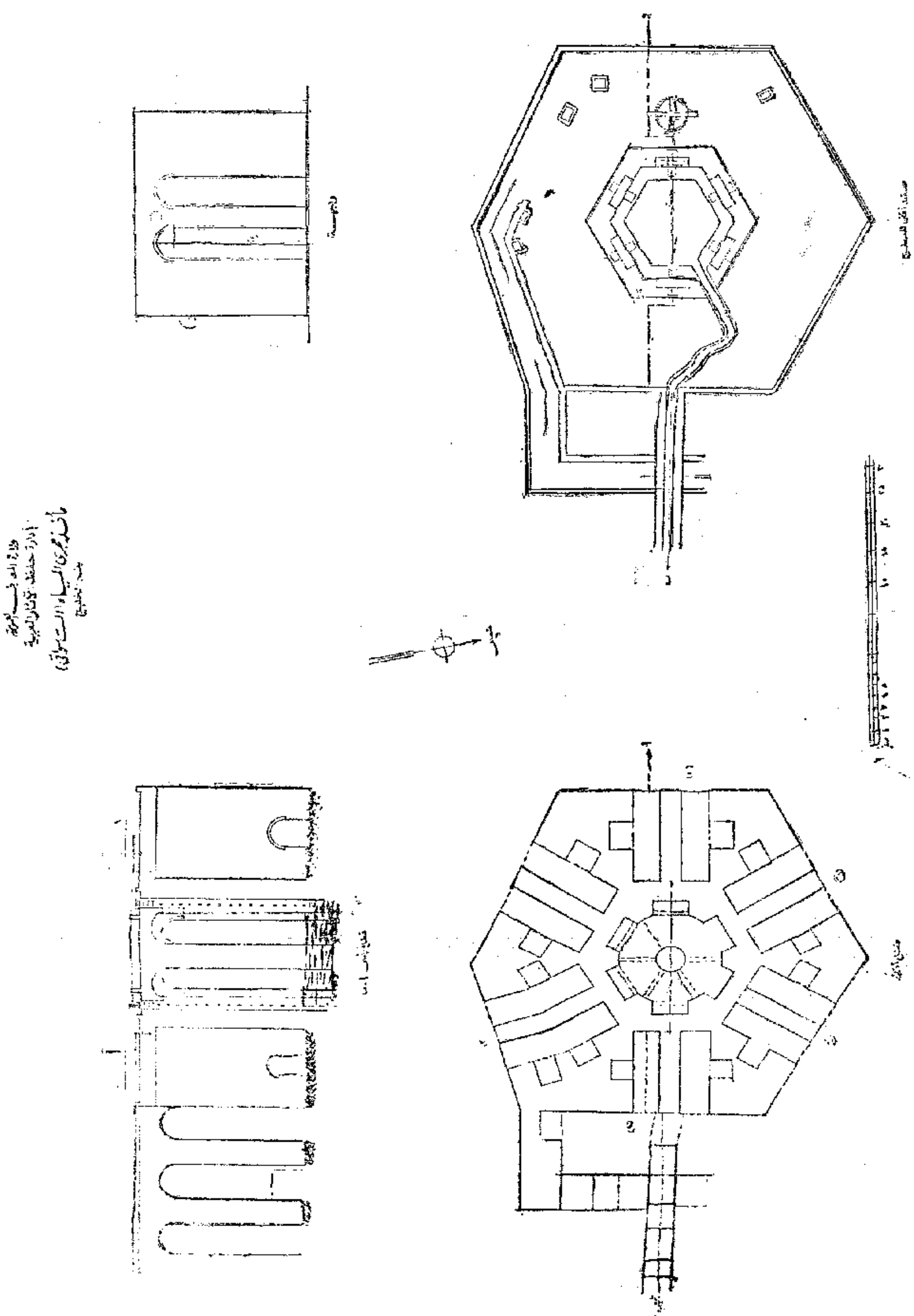
شكل (١)


القاهرة
القطائع
قنطرة السباع
القلعة
مسجد ابن طولون
الخليج
جزيرة الروضة
النيل
العسكر
السقاية (مجرى المياه)
كوم الجارح
جامع أبو السعود
الفسطاط
منطقة الحفر
١٩١٢ ١٩٢٠
عين الصيرة
الشمال
الرصد
اصطبل عنتر
دير الطين
بركة الحبش

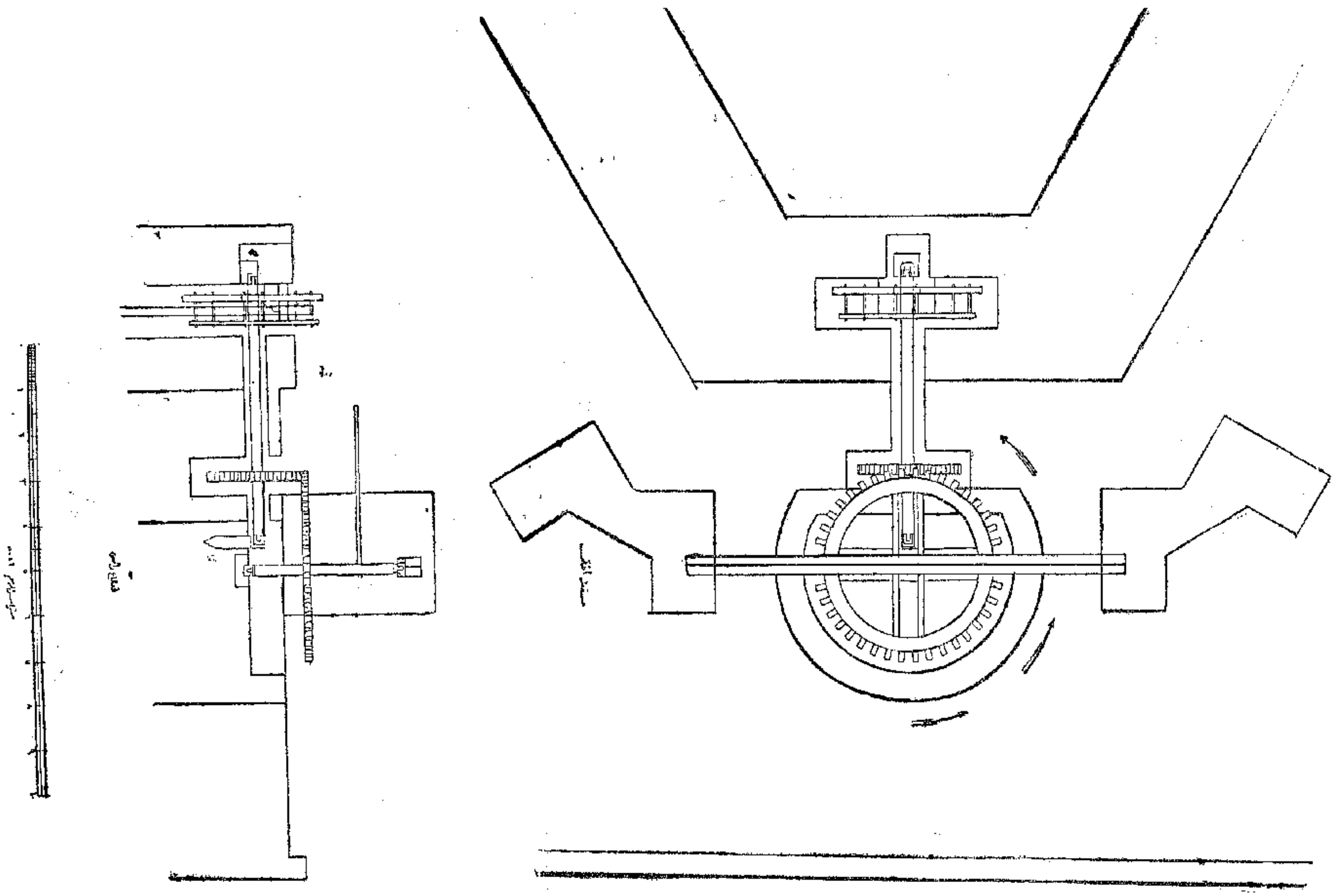
شكل (٢)



[نقلاً عن كرزويل]

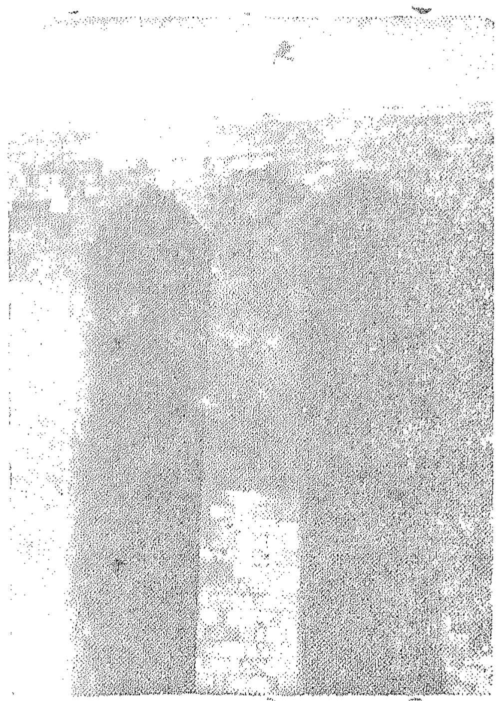


شكل ٣

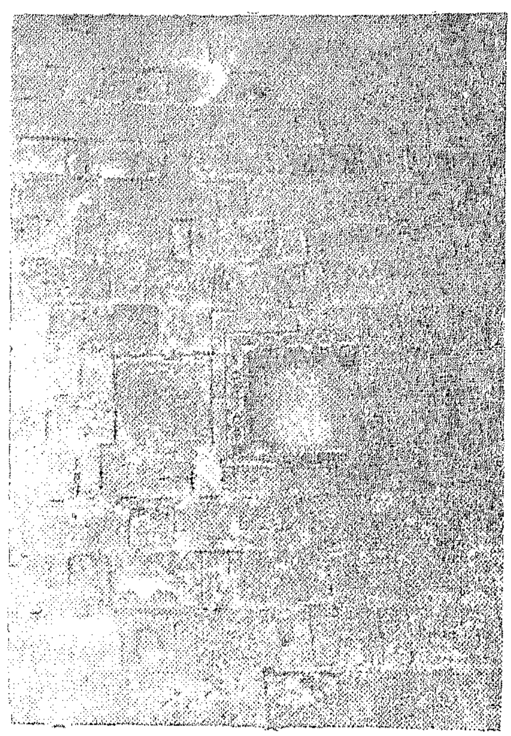


شكل ٤

لوحة ١



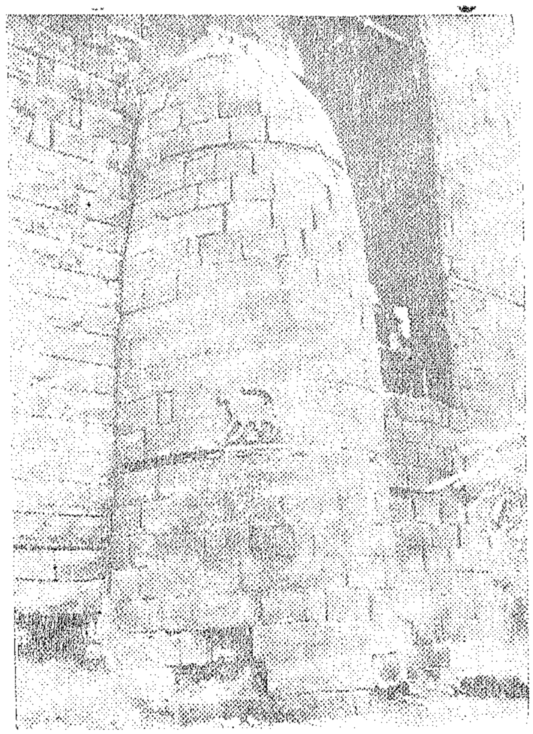
لوحة ٢



لوحة ٣



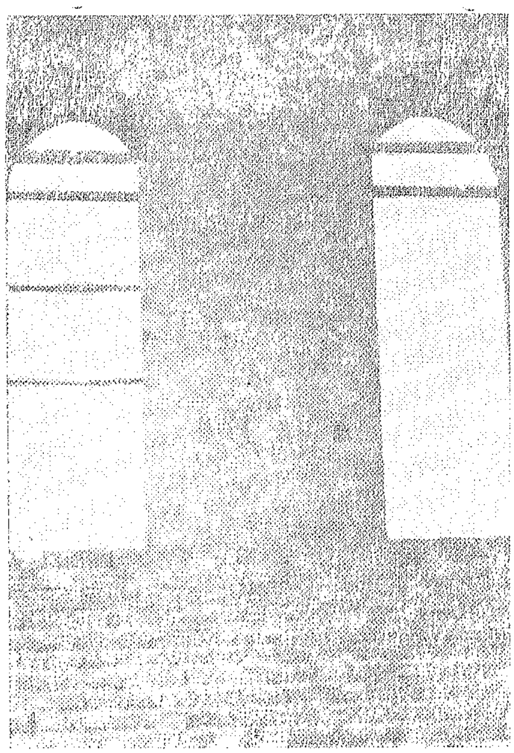
لوحة ٤



لوحة ٥



لوحة ٦



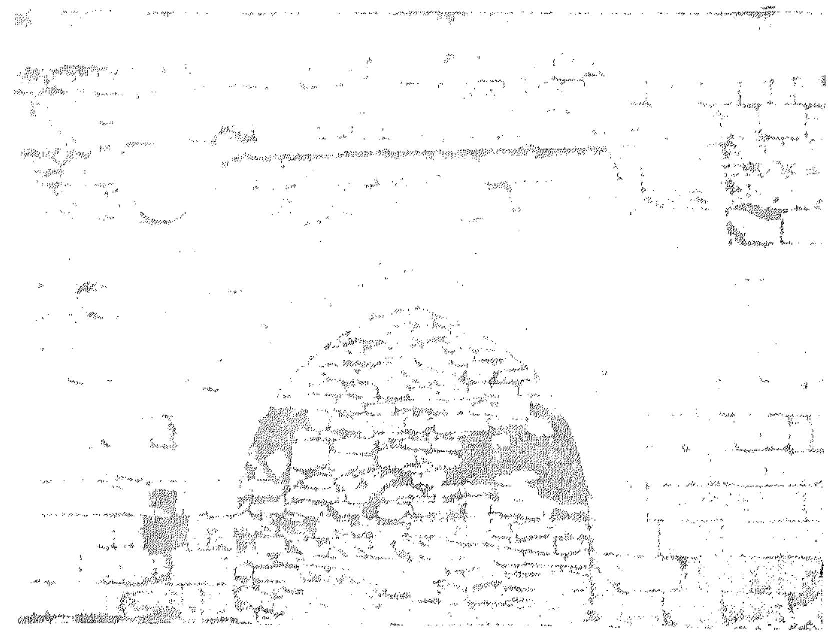
لوحة ٧



لوحة ٨



لوحة ٩



لوحة ١٠

